



الحمد لله حمد الشاكرين، وصلواته على سيد المرسلين، محمد النبي الأمي وآلـه وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيـراً، أما بعد:

إن الله سبحانه وتعالى قد بعث الأنبياء بشرعيته ليكونوا أدلة إلى الخير والصواب، فمن سلك غير سبيلهم فقد ضل عن الصراط السوي الذي ارتضاه الله {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهُ مَا تَوَلََّ وَنُصْلِلُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]، ذلك لأن الدين منهج الله، ولا يطبق إلى على وفق ما أراده الله تعالى، ليس للعقل اعتراض عليه ولا استدراك عليه بنزعة الهوى أو حجة التعديل المواقف للمصلحة أو العقل أو العصر أو غير ذلك.

فاتباع الهوى في مقابلة الشرع مذموم شرعاً وعقلاً وذلك لمحظورين اثنين:

الأول: أن في ذلك إعراضًا وميلًا عن الشرع، وتمسكاً بغير المشروع، ولو كان شيئاً دون الهوى لahan ولكنه تمسك بالهوى الذي هو مصب كل فتنة، ورأس كل مصيبة، وهذا يوصل إلى الشرك والعياذ بالله.

الثاني: أن فيه اعتراضًا على الشرع واستدراكاً وزيادة عليه، وقد أتم الله نعمته وأكمل دينه فلا مجال لهوى النفس في شيء قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ بِيَنَا} [المائدة: 3]، وهذا سبيل البدعة والفرقة.

ولهذا قال ابن الجوزي رحمة الله: "فمطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويبحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً للألم والأذى في العاجل ومنع لذات الآجل، فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذة تعقب ألمًا، وشهوة تورث ندماً وكفى بهذا القدر مدحًا للعقل وذمًا للهوى، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما ذكر الله عز

وَجَلَ الْهُوَى فِي مَوْضِعٍ مِّنْ كِتَابِهِ إِلَّا ذَمَهُ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِنَّمَا سُمِيَّ هُوَ لِأَنَّهُ يَهُوَى بِصَاحِبِهِ. (ذِمَّةُ الْهُوَى لِابْنِ الْجُوزِيِّ: ص 18).

وَلَا شَكَ أَنَّ اتِّبَاعَ الْهُوَى ذَرِيعَةٌ إِلَى الْضَّلَالِ وَالْانْحِرَافِ عَنِ الدِّينِ، حِيثُ وَقَدْ ذَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِّنِ الْآيَاتِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: فَذِمَّةُ عَالَمِ بْنِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} [الْأَعْرَافُ: 176]، وَقَالَ: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الْكَهْفُ: 28]. أَيْ وَكَانَ أَمْرُهُ ظُلْمًا وَاعْتِدَاءً (الْتَّحْرِيرُ وَالْتَّنْوِيرُ: 8/364). فَبِهَا يَكُونُ سَبَاقًا فِي الشَّرِّ، غَافِلًا عَنِ دُوَاعِي الْخَيْرِ، وَقَدْ لَا يَسْتَعْشِرُ ذَلِكَ فَكَانَمَا هَوَاهُ أَعْمَاهُ وَأَصْمَهُ.

قَالَ شِيخُ الْإِسْلَامِ أَبْنُ تِيمِيَّةَ رَحْمَهُ اللَّهُ: وَصَاحِبُ الْهُوَى يَعْمِلُهُ وَيَصْنَعُهُ، فَلَا يَسْتَحْضُرُ مَا لَهُ وَرَسُولُهُ فِي الْأَمْرِ وَلَا يَطْلُبُهُ، وَلَا يَرْضِي لِرَضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَغْضِبُ لِغَضْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ يَرْضِي إِذَا حَصَلَ مَا يَرْضَاهُ بِهَوَاهُ، وَيَغْضِبُ إِذَا حَصَلَ مَا يَغْضِبُ لَهُ بِهَوَاهُ، وَيَكُونُ مَعَهُ شَبَهَةُ دِينِ أَنَّ الَّذِي يَرْضِي لَهُ وَيَغْضِبُ لَهُ أَنَّهُ هُوَ السُّنَّةُ، وَهُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ الدِّينُ، إِذَا قَدِرَ أَنَّ الَّذِي مَعَهُ هُوَ الْحَقُّ الْمَحْضُ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ كَلْمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، بَلْ قَصْدُ الْحَمِيمَةِ لِنَفْسِهِ وَطَائِفَتِهِ أَوِ الرِّيَاءِ، لِيُعَظِّمَ هُوَ وَيَثْنَى عَلَيْهِ، أَوْ لِغَرْضِ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ (مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبُوَّيَّةِ: 5/256).

إِنَّ الْهُوَى أَفَةٌ تَعْتَرِيُ الْمُسْلِمَ فَتَفْسِدُ عَلَيْهِ مَعْتَقِدَهُ وَدِينَهُ بِمِيَالَتِهِ إِلَى مَا تَسْتَلِذُهُ نَفْسُهُ مِنِ الشَّهَوَاتِ، وَيَنْبَسِطُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَ الدُّنْيَا مَا يَخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ، وَلَهُذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الْأَنْعَامُ: 159]، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: صَارُوا فَرِقًا لِاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ، وَبِمُفَارِقَةِ الدِّينِ تَشَتَّتَ أَهْوَاءُهُمْ فَافْتَرَقُوا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} ثُمَّ بَرَأَ اللَّهُ نَبِيُّهُ بِقَوْلِهِ: {لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} وَهُمْ أَصْحَابُ الْبَدْعِ وَالْكَلَامِ فِيمَا لَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ فِيهِ وَلَا رَسُولُهُ (الْمَوَافِقَاتُ لِلشَّاطِبِيِّ: 4/111)..

وَقَالَ عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ أَخْوَفُ مَا أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: طُولَ الْأَمْلِ، وَاتِّبَاعُ الْهُوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمْلِ فَيُنَسِّي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهُوَى فَيُصِدُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَتْ مُدِيرَةً، وَالْآخِرَةُ مُقْبَلَةً، وَلَكُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْهَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدَّ حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ (فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: 2/362).

نَعَمْ عَبَادُ اللَّهِ، إِنَّ الْهُوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَيَعْمَلُ الْبَصِيرَةَ وَيَغْوِي الْمَرْءَ حَتَّى لَا يَرَى عَمَلَهُ إِلَّا خَيْرًا وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِلْهَدِيِّ، وَإِنْ كَانَ مَجَانِبًا لِلصَّوَابِ، وَيُؤَيِّدُهُ ذَلِكُمْ وَرَدُّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلَاثَ مَنْجِيَاتٍ، وَثَلَاثَ مَهْلَكَاتٍ، فَأَمَّا الْمَنْجِيَاتُ فَتَقْتُلُ اللَّهُ فِي السُّرِّ وَالْعُلَانِيَّةِ، وَالْقُولُ بِالْحَقِّ فِي الرَّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغَنِّيِّ وَالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْمَهْلَكَاتُ فَهُوَ أَهْدَى مَتَّبِعٍ، وَشَحْنُ مَطَاعٍ، وَإعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُهُنَّ) (شَعْبُ الإِيمَانِ لِبَيْهَقِيِّ: 15/300) وَحَسْنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقْمِ: (3039) ..

وَهُذَا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْرِيفُ بَنْجَاهُ الْعَبْدِ أَوْهَلَكَهُ فِي تَلْكَ الْأَمْرِ، وَقَدْ قَدَّمَ الْهُوَى الْمُتَّبَعُ فِي أَوَّلِ الْمَهْلَكَاتِ؛ لَمَّا لَهُ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَ قَدْ بَيِّنَ أَنَّ اتِّبَاعَ الْهُوَى سَبَبٌ فِي الْهُوَى فِي الشَّهَوَاتِ وَالْأَنْغَمَاسِ فِي وَحْلِ الْضَّلَالِ وَتَرْكِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ جَلَ شَأْنَهُ فِي أَوَّلِكَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ دِينِ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ: {وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمُتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِهِ فَقَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَأَ وَقَالُوا إِنَّا يَكُلُّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَتْعَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاقْعُلْمُ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءُهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الْقَصْصُ: 47-50].

وبهذا البيان من الله يتضح مدى انحراف الناس عن الحق ومجانبتهم إياه، وأنهم لو أصابتهم مصيبة ببرروا لأنفسهم بأنه لم يُرسِّل إليهم رسولٌ، ولو أرسل لامنوا، فلما جاءهم الحق من عند الله والقرآن العظيم اعترضوا واشترطوا أن يكون كما كان الذي مع موسى! أ ولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل؟! وهما يقولون في القرآن والتوراة هما سحران تعادنا في إضلال الناس!

سبحان الله! ثبتت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرَّ أئمَّهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفراً بهما كان طلباً للحق، واتباعاً لأمرٍ عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟ قال تعالى ملزماً لهم بذلك: **{فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا}** أي: من التوراة والقرآن **{أَتَّبِعْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علمًا وهدىً وبيانًا، ورحمةً للخلق.

وهذا من كمال الإنفاق من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعاً الإذعان لهما واتباعهما، من حيث كونهما هدىً وحقاً، فإن جئتموني بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعته، وإن فلأترك هدىً وحقاً قد علمته لغير هدىً وحق **{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ}** فلم يأتوا بكتاب أهدي منهما **{فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ}** أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم. **{وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَى مِنْ اللَّهِ}** فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء، فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل من هذا وصفه؟ ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبتة للحق، هو الذي أوجب له أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فلهذا قال: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْفَقْرَمِ الظَّالِمِينَ}** (تفسير السعدي: 1/617).

ولا نزاع في أن من اتباع الهوى صار مخالفًا للشرع؛ لأن العقل إذا لم يكن متبوعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنتم تعلمون ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين، ألا ترون قول الله تعالى: **{يَا ذَاوَدُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ هَوَاهُ فَيُضَلِّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}** [سورة ص: 26]. فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده وهو الحق والهوى وعزل العقل مجرداً إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك، وقال: **{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}** [الكهف: 28]. فجعل الأمر محصوراً بين أمرين: اتباع الذكر، واتباع الهوى، وقال: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَى مِنْ اللَّهِ}** [القصص: 50]. وهي مثل ما قبلها، وتأملوا هذه الآية فإنها صريحة في أن من لم يتبعد هدى الله في هوئ نفسه، فلا أحد أضل منه، وهذا شأن المبتدع؛ فإنه اتباع هواه بغير هدى من الله، **وهدى الله هو القرآن وما بينته الشريعة وبينته الآية أن اتباع الهوى على ضربين:**

• **أحدهما:** أن يكون تابعاً للأمر والنهي فليس بمدحوم ولا صاحبه بضال، كيف وقد قدم الهدى فاستنار به في طريق هواه، وهو شأن المؤمن التقى.

• **والآخر:** أن يكون هواه هو المقدم بالقصد الأول، كان الأمر والنهي تابعين بالنسبة إليه أو غير تابعين وهو المدحوم، وهذا هو اتباع الهوى في التشريع، إذ حقيقته افتراء على الله، وقد قال جل شأنه: **{أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعٍ وَقَلْبٍ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاؤَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ}** (23) سورة الجاثية. أي لا يهديه دون الله شيءٌ وذلك بالشرع لا بغيره وهو الهدى الاعتصام للشاطبي: (52 - 1/51) بتصريف.

وأختتم بكلام لشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله حيث قال: **أَضَلُّ الصُّلَالِ: اتَّبَاعُ الظُّنُونِ وَالْهُوَى كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مِنْ**

ذمَّهُمْ: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوِي الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النَّجْم: 23]، وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم: {وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطَقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النَّجْم: 1-4] فنזהه عن الضلال والغواية للذين هما الجهل والظلم، فالضالُّ هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الذي يتبع هواه. وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس، بل هو وحْيُ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَوْصَفَهُ بِالْعِلْمِ وَنَزَّهَهُ عَنِ الْهَوَى. (مجموع فتاوى ابن تيمية: 3/384).

أيها الحريصون على اتباع الهدى، إذا كان الأمر بهذه الحال من أنه إما شرع وإما هوى، ومن اتبع الهوى فلا أضل منه، علم قطعاً أن العقل ليس له مجال في:

تشريع أحكامٍ تخالف ما شرع الله، ولا بوضع قانون مقابل لحكم الله، ولا قبول لتنازل في معلوم من الدين بحجة مصلحة، ولا زيادة في أمر من أمور العبادة، أو تحريف لكتاب الله، أو تغيير لحدود الله، أو استدراك على شرع الله، أو تفسير كتاب الله وفق الهوى، أو تطبيق الشريعة بما يوافق انحرافات العصر، أو تهويش شأن المبادئ الإسلامية وتقليلها وتسهيل أمرها.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا ابتعاه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر: